الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣:١٠-١٥)

يا ولدي تيموثاوس إنَّك قد استَقَرَيْتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في أنطاكيةَ وإيقونيةَ ولِسترة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعها* وجميعُ الذينَ يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطهَدون* أمَّا الأشرارُ والمغوونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنت على ما تعلَّمتَه وأيقنتَ به عالِماً مِمَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليَّةِ تعرِفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادِرةَ أن تُصيِّرَك حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

أحد الفرّيسي والعشّار

تبتدئ الكنيسة من جديد، وكما في كلّ عام، مع اقتراب فترة الصوم الكبير، بتحضيرنا لسبر غمار هذا الصوم المبارك الذي يقودنا إلى يوم القيامة، قيامة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح، فنشترك في فصحه المقدّس.

في هذا الأحد تتلو الكنيسة المقدّسة على مسامعنا مَثَل الفرّيسي والعشار الوارد في إنجيل لوقا (١٨: ١٠-١٤)، ويختم الربّ هذا المثل بقوله «لأنّ كلّ من رفع نفسه اتّضع ومَن وضع نفسه ارتفع» (لو ١٨: ١٤). هكذا نفهم مغزى المَثَل ودعوته لنا للاقتداء بالعشار الذي طلب الرحمة من الله: «وأمّا العشّار فوقف من بعيدٍ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلًا: اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (١٨: ١٣).

ما الخطأ الذي اقترفه الفرّيسي حتّى استحقّ هذا الجزاء؟ هو لم يكن يطبّق الناموس فقط بل يتخطّاه: «أصوم مرّتين في الأسبوع وأعشّر كلّ ما أقتنيه» (لو١٨: ١٢). فقد كان الفرّيسيّون يصومون كلّ إثنين وخميس تذكارًا لصعود موسى على الجبل لتلقّي الشريعة، وكانوا يعشّرون أكثر ممّا كان يفرضه الناموس، علمًا أنّ هذه العشور كانت مخصّصة لمصاريف الهيكل. كان الفرّيسيّ يقوم بأمرين مهمّين يُطلبان عادة منّا نحن المؤمنين، هما الصوم والعطاء. فماذا نفعل إذًا؟ هل نصوم أم نحجم عن الصوم؟ هل نعطي أو ندير وجهنا عن الآخرين؟

إن المشكلة تكمن في مفهومنا للبِرّ، أي في مفهومنا لتطبيق الشريعة. نحن نسعى في تطبيق الأمور الخارجيّة التي يفرضها الناموس، وفي أيّامنا هذه ما تطلبه الكنيسة منّا من أمور تقويّة، كالصوم والصلاة والإحسان وغيرها، ظانّين أنّنا حقّقنا كلّ ما تطلبه الشريعة. إلاّ أنّ ما هو مطلوب من أمور خارجيّة هو بهدف الوصول إلى تطبيق ما يفرضه الناموس نفسه من الداخل، أي محبّة القريب: «لا تغصب قريبك ولا تسلب. ولا تَبِتْ أجرة أجير عندك إلى الغد. لا تشتم الأصمّ وقدّام الأعمى لا تجعل معثرة. بل اخشَ إلهك. أنا الربّ. لا ترتكبوا جورًا في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك. لا تسعَ في الوشاية بين شعبك. لا تقف على دم قريبك. أنا الربّ. لا تبغض أخاك في قلبك. إنذارًا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطيّة. لا تنتقم ولا

العدد ٢٠١٥/٥

الأحد ١ شباط

أحد الفريسي والعشار

تقدمة دخول السيد إلى الهيكل

تذكار الشهيد تريفن

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

تحقد على أبناء شعبك، بل تحبّ قريبك كنفسك. أنا الربّ» (لا١٩: ١٣-١٨).

هذا ما خالفه الفرّيسي، واستعاض عنه بأعمال خارجيّة كما ذكرنا. لقد أبغض أخاه في قلبه عندما خاطب الله قائلاً في نفسه: «اللهمّ أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشّار» (لو١٨: ١١)، محتقرًا بذلك أحد أبناء جنسه.

الخطورة تكمن في أنّ هذا الفرّيسي لم يأتِ إلى الله ليصلّي، إنما ليضع نفسه مكان الله، جاعلاً نفسه محورَ العالم وقاضيه، حاكمًا على الآخرين من منطلقه هو وليس من منطلق الله. مثل هذا الفعل يخالف تعاليم الله لأن الله وحده - لا الإنسان - هو القاضي العادل الذي لا يحابي الوجوه، ولا يقبل أن يحكم أحد باسمه ظلمًا، مشوّهًا بذلك صورة الله: «ثمّ صار إليّ كلام ربّ الجنود قائلًا قل لجميع شعب الأرض وللكهنة قائلاً: لمّا صمتم ونحتم في الشهر الخامس والشهر السابع وذلك هذه السبعين سنة، فهل صمتم صومًا لي أنا؟ ولمّا أكلتم ولمّا شربتم أفما كنتم أنتم الآكلين وأنتم الشاربين؟ أليس هذا هو الكلام الذي نادى به الربّ عن يد الأنبياء الأوّلين حين كانت أورشليم معمورة ومستريحة ومدنها حولها والجنوب والسهل معمورَين؟ وكان كلام الربّ إلى زكريّا قائلاً هكذا قال ربّ الجنود قائلًا: اقضوا قضاءَ الحقّ واعملوا إحسانًا ورحمةً كلّ إنسان مع أخيه، ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يفكّر أحد منكم شرًّا على أخيه في قلبكم. فأبَوا أن يصغوا وأعطوا كتفًا معاندة وثقّلوا آذانهم عن السمع، بل جعلوا قلبهم ماسًا لئلّا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله ربّ الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأوّلين، فجاء غضبٌ عظيم من عند ربّ الجنود» (زكريا ٧: ٤-١٢).

ماذا إذًا؟ أنترك الصيام والإحسان لأنّ الفرّيسيّ أساء استعمالهما؟ حاشا! ولكنّنا نتمثّل بربّنا يسوع المسيح الذي صام، لكنّه عند التجربة أرجع كلّ شيء إلى الله: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله» (متى٤: ٤). خرج بعد ذلك إلى البشارة بملكوت الله، وبذل نفسه على الصليب محبّة بنا. فالصوم والصلاة وأعمال الصلاح التي يطلبها الله منّا ليست هدفًا بحدّ ذاتها، لكنّها مهمّة بقدر ما تذكّرنا بالهدف الأسمى وهو محبّة القريب كالنفس التي تقودنا إلى مصدرها الحقيقي والوحيد: الله.

الحكم علينا إذًا يأتي من الله فقط، وهو الذي يحكم فينا إذا كنّا أبرارًا، أي نحفظ الوصايا ونطبّقها، أو كنّا خطأة. ففي الحالة الأولى نضع أنفسنا أمام الله ونعترف أمامه بخطايانا ونطلب رحمته فيرفعنا، على مثال العشّار. أمّا إذا كنّا خطأة ولم نعترف أمام الله بخطايانا بل برّرنا أنفسنا أنّنا صالحون، مثل الفرّيسي، رافعين أنفسنا إلى العلاء، فسينزلنا الله من عليائنا إلى الحضيض. الله هو الذي يبرّرنا، إنّه مصدر حياتنا الوحيد، وإذا وعينا ذلك نكون قد حقّقنا مسعانا نحوه في هذه الفترة المباركة. وهذا المسعى يستمرّ مدى حياتنا، وسيتكرّر كلّ عام، إلى أن نلتقي وجهه في اليوم الأخير، يوم القيامة المجيدة.

صلاة السَحَر

لاهوت صلاة السحر:

انطلاقاً مما قرأنا في الأسبوع الماضي عن صلاة السحر من خلال أقوال الآباء القديسين، نستطيع أن نقول إن خدمة صلاة السحر، كما

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠-١٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانان صعِدا إلى الهيكل ليُصلِّيا أحدُهما فِرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسه هكذا: أللَّهمَّ إنّي أشكركَ لأنّي لست كسائر الناس الخَطَفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العَشَّار* فإنّي أصوم في الأسبوع مرَّتينِ وأُعَشِّرُ كلَّ ما هو لي* أمَّا العَشَّار فوقف عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيه إلى السماء بل كان يقرعُ صدره قائلًا: أللَّهم ارحمني أنا الخاطئ* أقول لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيته مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفع نفسه اتَّضع ومَن وضع نفسه ارتفع.

تأمل

أحد طُرق التوبة هو التواضع. كُن متواضعاً وستُخفي خطاياك الكثيرة. يبرهن لك الكتاب المقدس ذلك بمَثَل الفريسي والعشّار حيث يقول: «صعد فرّيسي وعشّار إلى الهيكل لكي يصلّيا»، وبدأ الفريسي يعدّ فضائله واحدةً واحدة قائلاً: إني لستُ مثل باقي

الناس الخاطفين، الظالمين، الزناة ولا مثل هذا العشّار. أيها البائس الشقي! حكمتَ على العالم كلّه. لماذا جرحت بكلامك ذاك الذي كان بالقرب منك؟ ألم تكفِك المسكونة؟ هل كان يجب أن تحاكم العشّار أيضاً؟ اتّهمتهم كلّهم ولم تُشفق على أحد؟ أكمل: «أصوم مرتين في الأسبوع وأعشّر كلّ ما أقتنيه». ما هذه الكلمات المتكبّرة!

وبماذا ردّ العشار؟ عندما سمعه لم يقل مَن أنت لتتكلّم عليّ هكذا؟ ومن أين تعرف حياتي؟ لم تعاشرني ولم تسكن معي ولا تعرفني؟ لماذا تفتخر وتمدح نفسك؟ مَن يؤكّد أعمالك الحسنة؟ لم يقُل العشّار أمراً كهذا، بل كان منحنياً فقط يضرب صدره ويقول: «اللّهم ارحمني أنا الخاطئ»، وهكذا تبّرر بتواضعه. ذهب الفريسي من الهيكل عارياً من الفضيلة، بينما العشّار لابساً الفضيلة لأنّ أقواله انتصرت على الأشياء، أي إنّ الفريسي حُكم عليه بسبب كبريائه فاقداً كلّ ما كان ربحه بأعماله، بينما العشّار تبّرأ بتواضعه مُخلَّصاً من خطاياه، لأنّ التواضع هو أن يضع أحد نفسه حتى ولو كان عظيماً في الفضيلة. قال العشّار الحقيقة ببساطة لأنّه كان خاطئاً. وحقاً مَن هو أسوأ

باقي صلوات الدور اليومي، تحوي في طياتها ثلاثة أبعاد أو صعد: صعيد الخلق (بدء الكون وسقوط آدم)، صعيد التدبير الخلاصي (تجسد المسيح لتخليص آدم ونسله وإرسال الروح القدس والمجيء الثاني)، والصعيد الشخصي (ارتباط حياتنا الشخصية بالتدبير الخلاصي وكيف يجب أن تكون سيرتنا الشخصية في هذا الطريق). وعلى أساس هذه الصعد الثلاثة سوف نتحدث عن المعنى العام لصلاة السحر ولاهوتها:

١ـ **صعيد الخلق**: في مجال الخلق ترمز صلاة السحر إلى ظهور النور، لذا درجت العادة في الأديار (إذ يرتبون مواعيد صلواتهم بحسب تغيّر مواعيد شروق الشمس وغروبها) أن تنتهي صلاة السحر مع ترتيل الذوكصولوجية: «المجد لك يا مظهر النور...». مع الفجر تحتفل الكنيسة ببزوغ النور وتعلن انطلاق يوم جديد وفرصة جديدة لكي يتقدس الإنسان إذ يسير في نور المسيح، ومن يسير في نور المسيح لا يعثر أبداً. يكتب أحد اللاهوتيين المعاصرين: «صلاة السحر هي تمجيد وشكر لله، خالق الخيرات ومعطيها، الذي أهّل مخلوقاته أن يعبروا الليل ويعاينوا من جديد نور النهار. هذا النور الحسي الذي ينير العالم ما هو إلا صورة ونموذجاً للنور الحقيقي، أي للمسيح الذي ظهر في وسط الظلمات وأطلعَ في قلوبنا نور معرفته الإلهية».

إذاً، مع ظهور النور المخلوق أو المنظور، مع شروق الشمس، نسبّح نور الآب غير المخلوق، الكلمة المتجسد، الرب يسوع المسيح، ونمجد الثالوث القدوس المتساوي في الجوهر وغير المنقسم. بالنسبة للقديس إقليموس الإسكندري (١٥٠ ـ ٢١٥) إن الفجر يحمل معه ولادة يوم جديد، واللحظة التي يشرق فيها النور من الظلمة. لذا نراه يدعو المؤمنين إلى الصلاة باتجاه الشرق، لأن المسيح هو نور العالم وشمس العدل الذي ترمز إليه الشمس الشارقة من الشرق (stromate VII, ٦-٧:٤٣)

٢ـ **صعيد التدبير الخلاصي**: في مجال التدبير الخلاصي ترمز صلاة السحر أولاً إلى ميلاد المسيح. فمع ولادة كل يوم جديد يشرق النور من جديد، هذا النور الذي هو صورة المسيح الآتي لينير ظلمات هذا العالم ويطلع في قلوب البشر نور معرفته الإلهية. هكذا يحيا «المؤمنون شروق الشمس المحيية ويمجدون خالقها ولكنهم يرون من خلال هذه الصورة الطبيعية شمس العدل الحقيقية التي أشرقت من داخل الأحشاء البتولية لوالدة الإله من أجل خلاص البشر». لذا فإن صلاة السحر تبتدئ بـ «المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة (مع بداية قراءة مزامير السحر الستة) وتنتهي بها (مع الذكصولوجية). في صلاة السحر نسبّح الابن المولود من الآب قبل كل الدهور والظاهر إنساناً في آخر الأزمنة متخذاً طبيعتنا لكي ينقذنا. مع كل فجر جديد نسبّح الابن الشارق من الآب والمولود من العذراء ونشكره على تجسده وخلاصه الذي قام به من أجلنا، ومنحنا إمكانية العودة إلى الملكوت السماوي والولادة من جديد. عبارة «المجد لله في العلى...» تذكّرنا بالملائكة الذين ظهروا للرعاة الساهرين على خرافهم وبشروهم بميلاد الرب يسوع فتدعونا إلى السهر والتيقظ وانتظار الخلاص الإلهي. وفي صلاة السحر تبشرنا هذه العبارة بولادة خلاصنا الصائر بميلاد الرب فنعلن مباشرة بعد قراءة المزامير: «الله الرب ظهر لنا، مبارك الآتي باسم الرب». في النهاية أليس هدف كل الصلوات هو

تقديسنا أي إعادة ولادتنا في الملكوت؟ هذا بدأ تحقيقه مع ولادة الرب يسوع، تجسده من مريم العذراء. مع كل شروق شمس نسبّح بابتهاج الابن المولود لأجل خلاصنا.

أيضاً ترمز صلاة السحر إلى ساعة القيامة (سحراً جداً)، حين أتت حاملات الطيب إلى القبر والظلام باقٍ وتلقين من الملاك بشرى القيامة. الشمس الشارقة واليوم الجديد مع تحوّله من الظلمة إلى النور يذكراننا بقيامة المسيح شمس العدل من بين الأموات. مع شروق الشمس هناك رمز لعبور المسيح من الموت إلى الحياة. لذا في صلاة سحر الآحاد مباشرة بعد «الله الرب ظهر لنا»، يرنم المرتلون أناشيد النصر والظفر أي طروباريات القيامة. كما أن الترانيم القيامية، صباح كل يوم أحد، تتوالى بشكل تصاعدي في صلاة السحر (طروباريات القيامة، تبريكات القيامة، إنجيل السحر القيامي، الإكسابوستلاري والإينوس) معلنة البشرى بالقيامة لتصل إلى: «اليوم صار الخلاص للعالم فلنسبّح الذي قام من القبر عنصر حياتنا، لأنه إذ قد حطم الموت بالموت منحنا الظفر والرحمة العظمى»، هكذا يصبح كل أحد يوم فصح جديد، إذ نحتفل بقيامة الرب.

دخول السيد إلى الهيكل

في مناسبة عيد دخول السيد إلى الهيكل تقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ١ شباط وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل ـ الأشرفية.

تطبيق إلكتروني ليتورجي

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، ولأجل منفعة أبناء الكنيسة، تمَّ إطلاق تطبيق إلكتروني مجاني Application تحت إسم Litourgia يمكن تحميله من الـ App Store على أجهزة الـ iPhone والـ iPad يستطيع مستخدمو هذا التطبيق (كهنة ومرتلون ومؤمنون) أن يتابعوا باللغة العربية نصوص خدمة القداس الإلهي لكل آحاد السنة والأعياد الممتازة، بحسب تيبيكون الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية والتقويم اليولياني المصحّح وذلك بصورة آلية ومن دون عناء البحث عن القطع اليومية التي تتغير بحسب اللحن والعيد والزمن الطقسي. كما يتيح التطبيق لمن يستخدمونه الاطلاع على سيرة قديس اليوم، إضافة إلى بعض الصلوات التي يحتاجها المؤمن. يساعد هذا التطبيق المرتلين في متابعة القطع المرتلة أكان بعرض النوطة البيزنطية أو من خلال تسجيلات مبسطة لتدريب المبتدئين. ويتم العمل الآن لإضافة نصوص وقطع وتراتيل صلوات السحر والغروب التي سوف تصدر تباعاً.

العمل جارٍ حالياً لبرمجة هذا التطبيق على نظام الـ Android ليتمكّن مستخدمو الهواتف التي تعمل بحسب هذا النظام من تحميله. وسوف يتم الإعلان عن إنجازه في حينه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

من العشّار؟ مستغل الغرباء وسالب أتعابهم، وشريك أرباحهم، ومغتصبٌ وقح، وطمّاع لبقٌ وخاطئ شرعي. إذاً، إن أخذ إنسان كهذا مثل هذه العطية الكبيرة فقط لأنه أظهر التواضع، فكم بالحريّ إنسان بارّ يتواضع؟ بحيث أنك إن اعترفت بخطيئتك وصرتَ متواضعاً، تتبرأ وتتصالح مع الله.

أتريد الآن أن تعلم مَن هو متواضع؟ أنظر بولس الذي جال بجسده الصغير العالم كله مبشّراً بالمسيح، وحصل في أتعاب كثيرة، وحقّق انتصارات أمام الشيطان، وسُجن، وجُرح، وجُلد، وفتن المسكونة برسائله، ودُعي بصوتٍ سماوي إلى منصبه... ومع ذلك كان يتواضع ويقول: «أنا أصغر الرسل، أنا الذي لستُ أهلاً لأن أُدعى رسولاً» (١كو ١٥: ٩). أترى عظمة التواضع؟ يعتبر بولس نفسه أصغر الرسل. هذا هو التواضع الحقيقي، أن يتواضع أحد في كل شيء ويعتبر نفسه أصغر من الجميع. فكّر مَن كان ذاك الذي كان يقول هذه الأقوال. كان بولس مواطن السماء، وعمود الكنائس والملاك الأرضي والإنسان السماوي.

إذاً، التواضع هو طريق آخر للتوبة. التواضع الذي برّر العشّار بسهولة ووهبه ملكوت السموات.

القديس يوحنا الذهبي الفم